

أنوار كاشفة      سلسلة رمز وحقيقة      الحلقة الثامنة والأربعون

## سفر النبي يونان (٢)

مستمعي العزيز، مازلنا ندرس أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس. وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن، والمسيح المخلص الآتي.

وكنا قد بدأنا في اللقاء الماضي بدراسة سفر النبي يونان، وهو عبارة عن قصة مثيرة. فذكرنا كيف دعا الله يونان لكي يذهب إلى مدينة نينوى في العراق، وكانت عاصمة الإمبراطورية الآشورية، ويدعو سكانها إلى التوبة. لكن يونان بدلا من ذلك قرر الهروب من وجه الله، وسافر في البحر من مدينة يافا في فلسطين، متوجها نحو ترشيش. وهي مدينة من المحتمل أنها كانت تقع في جنوب إسبانيا أو شمال إفريقيا.

فأرسل الله ريحا شديدة إلى البحر حتى كادت السفينة تغرق. ولم تتوقف العاصفة إلا عندما ألقى البحارة يونان في البحر حسب طلبه. وعندها أعدّ الله حوتا كبيرا ليلتلع يونان. وبقي يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال. ومن جوف الحوت تاب يونان، وصرخ إلى الله. فسمع الله صلواته، وأمر الحوت فقذف يونان إلى البر. وأشرنا في اللقاء السابق، أن حادثة يونان هذه، كما أوضح المخلص المسيح، كانت ترمز وتشير إلى حادثة موت المسيح الكفاري على الصليب، ودفنه في القبر، ثم قيامته الظاهرة من بين الأموات في فجر اليوم الثالث.

نكمل الآن قصة يونان، وما حدث معه، بعد أن أمر الله الحوت لكي يقذف يونان إلى البر. ولنكتشف إلى ما تشير إليه وترمز من معاني هامة، تجلّت بوضوح في المسيحية. فبعد أن خرج يونان من بطن الحوت، صار قول الله إليه ثانية قائلاً: " قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد لها المناداة التي أنا مكلّمك بها. فقام يونان وذهب إلى نينوى بحسب قول الرب." (يونان ٣: ٢ و٣)

وعندما دخل يونان مدينة نينوى، ابتدأ ينادي ويقول: " بعد أربعين يوما تنقلب نينوى. فأمن أهل نينوى بالله، ونادوا بصوم ولبسوا مسوحا من كبيرهم إلى صغيرهم. وبلغ الأمر ملك نينوى فقام عن كرسیه، وخلع رداءه عنه وتغطى بمسح وجلس على الرمّاد." (يونان ٣: ٤-٦) وأمر الملك جميع السكان أن يصوموا عن الطعام والماء ويلبسوا مسوحا. وأن " يصرخوا إلى الله بشدة ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذي في أيديهم. لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك." (يونان ٣: ٨)

٣:٩و) فلما رأى الله أعمالهم، وأنهم رجعوا عن طرقهم الرديئة، قرر مسامحتهم وعدم إنزال العقاب بهم. إن هذه الحادثة تؤكد لنا، على مدى رحمة الله الواسعة، عندما يتوب إليه الإنسان من كل القلب.

لكن يونان ، وهذا الأمر الغريب، بعد أن رأى رحمة الله لأهل نينوى، اغتاظ كثيرا. وبدأ يبزر نفسه وهروبه إلى مدينة ترشيش. فصلّى إلى الله قائلا: " آه يا رب أليس هذا كلامي إذ كنت بعد في أرضي. لذلك بادرت إلى الهرب إلى ترشيش لأني علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر. فالآن يا رب خذ نفسي مني لأن موتي خير من حياتي." وعندها أجابه الله: هل اغتظت بالصواب. (يونان ٤:٢-٤) أي هل يحق لك أن تغتاظ؟ لم يكن موقف النبي يونان في هذه الحالة مبررا. فالله الخالق هو من يقرر مصير البشر وليس يونان. وهو إله رحيم ، ويقبل كل من يأتي إليه تائبا عن شره. ولهذا كان لابد لله أن يعلم يونان درسا بليغا.

ثم نقرأ في سفر يونان: " وخرج يونان من مدينة نينوى، وجلس شرقي المدينة، وصنع لنفسه هناك مظلة، وجلس تحتها في الظل حتى يرى ماذا يحدث في المدينة." أي كان يونان مايزال يتوقع، أن الله ربما سيعاقب سكان نينوى. " فأعد الرب الإله يقطينة فارتفعت فوق يونان، لتكون ظلا على رأسه لكي يخلصه من غمه. ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحا عظيما. ثم أعد الله دودة عند طلوع الفجر في الغد فضربت اليقطينة فيبست. وحدث عند طلوع الشمس أن الله أعدّ ريحا شرقية حارة فضربت الشمس على رأس يونان فذبل فطلب لنفسه الموت وقال موتي خير من حياتي."

وعندها قال الله ليونان: "هل اغتظت بالصواب من أجل اليقطينة. فقال اغتظت بالصواب حتى الموت. فقال الرب أنت شفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا رببتها التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت. أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم." (يونان ٤:٥-١١) أي يوجد فيها أكثر من مئة وعشرين ألفا من الناس. أجل، لقد لَقّن الله يونان درسا بليغا. فإذا كان يونان اغتاظ من أجل اليقطينة التي خسرها، والتي هي مجرد شجرة صغيرة، فكم بالحري يهتم الله بالبشر الذين خلقهم على شبهه ومثاله؟

صديقي المستمع، تشير قصة النبي يونان إلى محبة الله المدهشة، ورحمته العظيمة لبني البشر جميعا، من دون استثناء. وهي رسالة تصلح للإنسان في كل مكان وزمان، إذ كشفت عن اهتمام الله بالجميع. وأن الله لا يقتصر في معاملته على شعب معين، كما ظن اليهود، ويونان منهم، قديما. بل إن هدفه هو أن يغفر لجميع الذين يأتون إليه بالتوبة ولإيمان، بغض النظر عن جنسيتهم ولونهم وعرقهم. أجل، لقد مهدّ سفر النبي يونان الطريق لبزوغ شمس الإنجيل، أي شمس البشارة المفرحة، على البشرية جمعاء. وبذلك تكون قصة يونان، هي أروع صورة معبرة، عن حقيقتين هامتين هما:

الحقيقة الأولى التي تحدثنا عنها في اللقاء السابق، وهي أن بقاء يونان في جوف الحوت، لمدة ثلاثة أيام، كان إشارة إلى موت المخلص المسيح الكفاري على الصليب من أجل خطايانا، وقيامته الظاهرة من بين الأموات.

أما الحقيقة الثانية، فهي أن مناداة النبي يونان لأهل نينوى بالتوبة، وقبول الله لتوبتهم، هو إشارة للمناداة برسالة الإنجيل، رسالة الخلاص والغفران للبشر جميعا. وإشارة أيضا إلى إعلان محبة الله العظمى ورحمته. لقد أحب الله جنسنا البشري كله ، بدون أي تمييز ، بين شعب وآخر. ولهذا قال المخلص المسيح: هكذا أحب الله العالم. ولقد أكد الله محبته بأن قدّم كلمته الأزلي ابنه الوحيد، ذبيحة أي كفارة من أجل خطايانا.

ولهذا دعا أيضا المخلص المسيح بعد أن أنهى عمل الفداء على الصليب، وقبل صعوده حيا إلى السماء. دعا تلاميذه قائلا: " **اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها.** " (بشارة مرقس ١٦: ١٥) أي دعاهم لكي يذهبوا ويبشروا برسالة الإنجيل المفرحة، إلى كل شعوب وأمم الأرض. البشارة المفرحة أن الله أحب البشر جميعا، وهو على استعداد أن يغفر خطية، كل من يأتي إليه تائباً ومؤمناً بالمخلص المسيح. مؤمناً بالمخلص المسيح الذي أعلن محبة الله للبشر جميعا، بموته الكفاري على الصليب، وقيامته الظاهرة من بين الأموات. وعندها لا بد أن يهبه الله عطية الغفران، والحياة الروحية الجديدة والخلود.

وكما نادى النبي يونان قديما سكان نينوى بالتوبة ، هكذا تُعلن اليوم هذه البشارة المفرحة، إلى كل أنحاء العالم. فما هو موقفك مستمعي الكريم من نداء البشارة المفرحة هذه؟ لقد تجاوز أهل نينوى قديما مع مناداة يونان ، فتابوا عن خطاياهم ورحمهم الله. فهل تتجاوز أنت أيضا مع بشارة الإنجيل المفرحة؟ فنتوب عن ذنوبك، وتؤمن بالمخلص المسيح وعمل الفداء الذي قام به. وعندها لا تتجو من دينونة الله فحسب، بل يغدق عليك الله رحمته، فيهبك الغفران الكامل والحياة الروحية الجديدة، وتضمن دخولك إلى دار النعيم، وتحيا إلى الأبد.